

Gain the Prophets كسبُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

Abdel Fattah Al-Samman^{1*}.

¹The World Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan.

*Corresponding author: afsm3q@gmail.com.

Received 18 Jul 2017, Accepted 15 Oct 2017, Published 01 Jan 2020.

Abstract

Allah made the callers for him not in need for others, therefore, he ordered all his prophets to work. He didn't send his messengers to be a burden upon their people and make benefit from their call to Islam.

This would keep them away from people and impede their call. Allah made his prophets a reason for their people's livelihood, not vice versa. The fact that prophets worked for their own living was a model of hard work and seeking self-sufficiency for their people who came after them.

One of the perfect prophets' features (peace be upon them) is that they never needed their people. The messenger is as far as the sender goes, and Quran and Hadith showed the prophets' sources of income. And our Prophet Muhammad's financial biography has more evidence about that than the other prophets'.

Key words: the work of the prophets, the Prophet's gain, the sources of prophets' income, the Prophet's riches, the Prophet's poverty.

الملخص

جعل الله عزَّ وجلَّ الدُّعَاةَ إليه أغنى الخلق عن الخلق، لذلك أمرَ أنبياءه جميعاً بالعمل، ولم يرسل رسلاً عالَةً على أقوامهم يتكسبون بدعوتهم من الخلق؛ فهذا مما ينقِرُ الناس عنهم ويعرقل دعوتهم، بل جعل الله عزَّ وجلَّ الأنبياء سببَ رزقٍ لأقوامهم وليس العكس، وكان تَكْسِبُ الأنبياء بعملهم سبباً لأقوامهم وللناس من بعدهم في العمل والسعي إلى الكفاية والاستغناء عن الناس.

ومن تمام صفات الأنبياء عليهم السلام عدم احتياجهم لأقوامهم، فالرَّسول على قدر المرسل، وقد ورد بيان مصادر دخل الأنبياء في القرآن والحديث، ولعل السيرة المالية لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت الأوفر حظاً من هذه الأدلة.

الكلمات المفتاحية: عمل الأنبياء، كسب النبي، مصادر دخل الأنبياء، غنى النبي، فقر النبي.

المقدمة

الإطار النظري والدراسات السابقة

ومن تمام صفات الأنبياء لإعدم احتياجهم لأقوامهم، فالرَّسول على قدر المرسل، وكما يحرم القول بأن الله فقير، ينطبق ذلك على رُسُلِهِ جميعاً لإ.

إن الإسلام جاء ليخرج الناس من الفقر إلى الغنى، ومن الظلمات إلى النور، وما أرسل الله رسلاً جَمِيعاً إلا ليكونوا سادة الناس لا عالة عليهم، وخيرُ الخلق في ذلك أجمعين نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ، ولقد أكرم الله عز وجل نبيّه ﷺ بثلاث مراحل من العطاء المالي، ومن البديهي أن يكون جلُّ هذا العطاء على يد أشخاص وفي ظروف مقدرة بتقدير محكم من القدير الحكيم.

لذلك ما كان لأحد يد عند رسول الله ﷺ إلا رُدَّت إليه من الله ثُمَّ من رسوله ﷺ أضعافاً مضاعفة، وذلك في جميع المراحل الثلاث:

١. مرحلة الاصطفاء: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٣٣-٣٤).

٢. مرحلة الإيواء: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (سورة الضحى: ٦).

٣. مرحلة الإغناء: في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغَى﴾ (سورة الضحى: ٨).

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على مَنْ أفرَدَ في أموال الأنبياء لإِ تصنيفاً خاصاً، بل جمع المادة من بطون كتب السيرة والحديث ومراجع الديانات الأخرى

إشكالية البحث: يَنْطَلِقُ الْبَحْثُ مِنْ أَسْئَلَةٍ مَحَوْرِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ

١. هل أَرْسَلَ اللهُ رُسُلَهُ ثُمَّ تَرَكَهُمْ عَالَةً عَلَى النَّاسِ، {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦]؟

٢. من أين كان يتكسب الأنبياء ما يقيتهم، ويغنيهم عن أقوامهم؟

٣. أليس الرسل قدوات لأقوامهم وأتباعهم في كل ما فيه مصلحة من شأن الدنيا والآخرة؟

أهمية البحث: تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ فِي نِقَاطٍ عِدَّةٍ

– النُّقْطَةُ الْأُولَى: بيانُ قوةِ الأنبياء لإِ في المقال والحال، فقد جاءت آيات القرآن الكريم دالة على استغناء الأنبياء لإِ عن أموال أقوامهم، وهذه مفخرة من المفاخر التي عُدَّها الله تعالى لهم في القرآن الكريم، وبأهى بها النَّاسُ، وردَّ في وجه الصُّنَادِيدِ اعتدادهم بأموالهم وافتخارهم بها، وأنَّ هذا السِّلَاحَ لا يَنْفَعُ في مواجهة الدَّعْوَةِ.

– النُّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ: ردُّمُ الهَوَّةِ بَيْنَ عَظَمَةِ الْأَنْبِيَاءِ واعتقاد عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بفقرهم، فقد جعل الله عزَّ وجلَّ الدَّعَاةَ إِلَيْهِ أَغْنَى الْخَلْقِ عن الخلق، لذلك أَمَرَ أَنْبِيَاءَهُ جَمِيعاً بِالْعَمَلِ، ولم يرسل رسلاً عالة على أقوامهم يتكسَّبون بدعوتهم من الخلق؛ بل جعل الله عزَّ وجلَّ الأنبياء سببَ رِزْقٍ لأقوامهم وليس العكس -وهكذا يجب أن يكون الدَّعَاةُ-، فنوحٌ ؑ قَدَّمَ السَّفِينَةَ وحمل الدُّرِّيَّةَ، وإبراهيم ؑ كان سبباً في رِزْقِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ليومنا هذا، وكانت الضيافة مفترضة عليه، وموسى ؑ جعل قومه يأكلون من خيرات الأرض، وعيسى ؑ أولم لهم بمائدته، والنَّبِيُّ ﷺ كثيراً ما أطعم وسقى، وأهدى وأقطع، ناهيك عن تعليم السَّعْيِ لَأُمَّتِهِ.

– النُّقْطَةُ الثَّالِثَةُ: تسليطُ الصَّوِّءِ على أموال الأنبياء لإِ، وبعض طرق كسبهم، ومصارف أموالهم.

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مطالب:

– المطلب الأول: أهمية تكسُّب الأنبياء لإِ من غير الدَّعْوَةِ.

– المطلب الثاني: مصادر دخل بعض الأنبياء لإِ في القرآن والحديث.

– المطلب الثالث: مصادر كسب النبي ﷺ.

المطلب الأول: أهمية تكسب الأنبياء لإ من غير الدعوة

تأتي أهمية تكسب الأنبياء لإ بفضل الله ثم بعمل أيديهم من أن الناس على مَر الزمن لا يستمعون لنصيحة من يتلمس منهم الأجر والمال، ولا ينظرون بالاحترام لمن يعيش على موائدهم ويقفات من فضيلهم، بل إن طلب المال من الناس والعيش على نفقتهم مدعاة لنفورهم؛ ولذلك قال بعض العلماء باستحالة فقر النبيين، كبن بطل / الذي قال في شرحه على البخاري: (كان النبي ﷺ لا يأكل الصدقة لأنها أوساخ الناس، وأخذ الصدقة منزلة ضعة؛ والأنبياء منزّهون عن منازل الضعة والدلة، ولا تحل الصدقة للأغنياء، وقد عُدّ الله على نبيه ﷺ أنه وجده عائلاً فأغناه، فلهذا كله حُرمت عليه الصدقة). (ابن بطل، ٢٠٠٣م: ٩١/١٣).

(مصادر أمواله) وقال في موضع آخر: (قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: ٢٣)، وذلك أنه لو حلت له الصدقة فأخذها منهم وجد القوم السبيل أن يقولوا: إنما تدعوننا إلى ما تدعوننا إليه لتأخذ أموالنا وتعطيها إلى أهل بيتك، ولا تدعوننا إلى سبيل الرّشاد، ولكنه ﷺ أمر بأخذها من أغنياء كل قبيلة وردّها في فقرائهم، ليعلموا أنه إنما يدعوهم إلى مصلحتهم دون عوض يأخذ منهم.. وهذا توطئ لتوزيع الإيرادات مكان جبايتها، وفي هذا عدل ورضا بين الناس- (قال المهلب: وإنما حُرمت الصدقة عليه ﷺ وعلى آله لأنها أوساخ الناس، ولأن أخذ الصدقة منزلة دُلّ وضعة، لقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» (البخاري، ١٩٨٧م، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم: ١٣٦١)، ومسلم، د.ت، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم: (١٠٣٣)، فجعل يد الذي يأخذ السفلى، والأنبياء وألهم منزّهون عن الدلّ والضعة والخضوع والافتقار إلى غير الله). (ابن بطل، ٢٠٠٣م: ٨٧/٦).

وهذا شأن الأنبياء والمرسلين كلّهم، وقد تكررت إجابات الأنبياء لأممهم بنفي أخذ الأجرة على دعوتهم، وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومثال ذلك في سور: (يونس: ٧٢، هود: ٢٩ و ٥١، الشعراء: ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠، ثم سبأ: ٤٧)، فالله تعالى لا يرضى أن يتكسب رسله من أوساخ الناس، أو يأخذون الأجر على إبلاغ الرسالة، وهذا ما فعله من قبل سيدنا إبراهيم عندما اشترى لنفسه ولزوجته قبرا بماله وأبي أن يأخذ من أتباعه شيئا، وهذا هو المطلوب من جميع الدعاة مع أتباعهم، فهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥).

وأكد جميع الأنبياء أن دعوتهم خالصة لله تعالى، وأنهم لا يريدون الأجر من غير الله، وأكد القرآن استغناء الأنبياء لإ عمّا في أيدي الناس في آيات عدة، فقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٢-١٢٣).

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (سورة النحل: ١٢٢) أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٠)) (ابن كثير، ١٤٠١هـ: ٦١١/٤).

ونحوه قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٧).

وقال ابن كثير أيضاً في تفسيره: (أي: جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا: الرزق الواسع الهنيئ، والمنزل الرّحّب، والمورد الغدب، والرّوحة الحسنة الصّالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكلّ أحد يحبه ويتولاه، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه) (ابن كثير، ١٤٠١هـ: ٢٧٥/٦).

وقال سبحانه وتعالى في داود وسليمان ﷺ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٢-٧٨).

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ يَا جِبَالَ أُوبَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرًا وَرَوْاحًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٠-١٣).

طلب الأنبياء لإ الأجرة على الدعوة مُستنكر أصلاً:

يقول الله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة هود: ٢٩)

قال الشيخ الشعراوي /: (هو قول يدل على أن الأمر الذي جاء به الرسول ﷺ أمر نافع؛ لأن الأجرة لا تُستحق إلا مقابل المنفعة، فكان نوح ﷺ يقول: لقد كنت أستحق أجراً لأنني أقدم لكم منفعة، لكنني لن آخذ منكم شيئاً، لا زهداً في الأجر، ولكي أطمع في الأجر ممن هو أفضل منكم وأعظم وأكبر) (الشعراوي، د.ت: ١٤٨٩).

ومثله هود وصالح ولوط لا يقولون: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (سورة هود: ٥١).

وخاطب الله رسوله ﷺ مستنكراً على قومه الظن به طلب الأجرة بقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة المؤمنون: ٧٢).

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾: قال الحسن: أجراً، وقال قتادة: جُعلاً، ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ﴾، أي: أنت لا تسألهم أجرة ولا جُعلاً ولا شيئاً على دعوتك إياهم إلى الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه، كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة سبأ: ٤٧) (ابن كثير، ١٤٠١ هـ: ١٤٨٥/٥)، وهذه الآيات تؤكد هذا المعنى:

إبراهيم ﷺ يُطعم من ماله لا من مال قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (سورة هود: ٦٩)، ولا شك أن هذا العجل الذي قدمه النبي إبراهيم ﷺ ضيافةً للملائكة لم يكن من عند قومه، بل كان من ماله بدليل الآية الأخرى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (سورة الذاريات: ٢٦).

قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾، أي: انسل خفية في سرعة، ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من خيار ماله) (ابن كثير، ١٤٠١ هـ: ٤٢١/٧).

وفي تفسير النسفي (١٩٩٨م: ٣/ ٣٧٦)، والطبري (٢٠٠٠م: ٢٢/ ٤٢٥) عن قتادة في قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (سورة الذاريات: ٢٦)، قال: (كان عامة مال نبي الله إبراهيم ﷺ البقر).

إبراهيم ﷺ يؤكد أن رزقه من عند الله لا من عند غيره:

قال سبحانه على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ (سورة الشعراء: ٧٩)، وقوله: (هو) تفيد الحصر.

إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب لا أغنياء يزكون:

وقال سبحانه: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧١-٧٣)، ولا بد أن الزكاة لا تجب إلا على الغني مالك النصاب.

قال الإمام السيوطي /: (وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في (التنوير) أن الأنبياء لا تجب عليهم الزكاة؛ لأنهم لا ملك لهم مع الله، إنما كانوا يستهدون ما في أيديهم من ودائع الله لهم، يبذلونه في أوان بذله، ويمنعونه في غير محله؛ لأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه، والأنبياء مبرؤون من الدنس لعصمتهم) (السيوطي، د.ت: ص ٣).

إبراهيم ﷺ يبعد قومه بالرزق، لا يطلبه منهم:

قال سبحانه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ١٦-١٧)، وكيف يعدهم برزق الله الذي يدعوهم إليه إن كان يتكسب منهم ويتعيش بهم؟! بل على العكس، النبي هو الذي يرزق الله الناس به:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (سورة التوبة: ٥٨-٥٩).

وأخرج البخاري من حديث أبي برزة ؓ قال: «إن الله يغنيكم -أو نعشكم- بالإسلام وبمحمد ﷺ» (البخاري، ٩٨٧م، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب، رقم: (٦٨٤٣)). فالنبي هو الذي يرزق الله الناس به ويُغنيه عن رزقهم ويكفيه.

وهذا فضل الله تعالى على بني إسرائيل أجراه على يد موسى ؑ:

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ* وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ تَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ..﴾ (سورة البقرة: ٥٧-٦١)

ونحو ذلك ما أطعم الله قوم صالح ؑ من لبن النَّاقَةِ:

قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٥٥).

قال ابن كثير في تفسيره: (فأقامت النَّاقَةُ وفصيلها بعدما وضَّعته بين أظهرهم مدَّة، تشرب ماء بئرها يوماً، وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملؤون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَنَبَّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ (سورة القمر: ٢٨). (ابن كثير، ١٤٠١هـ: ٣/٤٤٠).

ونحو ذلك مائدة بني إسرائيل:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَضْمِنُ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* قَالَ اللَّهُ إِلَيَّ مَرْجِعُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٢-١١٥).

وبيَّن القرآن الكريم ردَّ فعل البشر إن جعل حاجة أنبيائه لإيهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا...﴾ (سورة الكهف: ٧٧).

وفي هذه الآية درس للنبي ﷺ ولكل داعٍ من أمته ألا يطلب إلى النَّاسِ شيئاً؛ لأنَّ طلب الطَّعْمَةِ إلى النَّاسِ مدعاة لسقوط الدَّعوة؛ إذ يَضَعُ الدَّاعي نفسه ودعوته عرضةً للزُّمِ البشر.

فكان الخير ما فعله سليمان ؑ مع الملكة لما قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ* فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (سورة النمل: ٣٥-٣٦)

والأنبياء لإِ جميعاً يتكسَّبون في الأسواق:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٢٠).

وتكسَّب الأنبياء بعملهم إنَّما هو -إضافةً لما سبق بيانه- سنَّةٌ للنَّاسِ، فالاعتقاد بما جاء به نبيُّ الله وأَنَّهُ نبيُّ مرسل يقتضي الاقتداء به، وهذا من السُّنَنِ، لذلك ينبغي على النَّاسِ العمل والسَّعي له بالأخذ بالأسباب، وبذلك يقوم الاقتصاد، فالعامل المكتسب يحتاج نفقةً له ولعِياله ونفقةً للقيام بعمله أيضاً، ممَّا يحتم عليه العمل ليكسب ويُنفق على ذلك.

وكما اختصَّ الله أنبياءه لإِ بأعمالٍ مختلفةٍ كان اختلاف النَّاسِ بأعمالهم سبيل قيام الاقتصاد وانتعاش أحوالهم.

وبذلك يتَّجه النَّاسُ نحو الإنتاج بمختلف أشكاله، ثمَّ إلى التَّبادل فيما بينهم، وينشأ عن ذلك قيام أعمالٍ واختصاصاتٍ عديدة.

المطلب الثاني: مصادر دخل بعض الأنبياء لإ في القرآن والحديث

أولاً: مصادر دخل بعض الأنبياء لإ في القرآن الكريم

الآيات واضحة في تكسب الأنبياء لإ، منها:

قصة سيدنا شعيب * -على قول إنه شعيب- مع موسى * لما ورد ماء مدين:

﴿... قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَتَيْنِكَ أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضِبْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (سورة القصص: ٢٣-٢٨).

وهذه الآية تدل على صفات العامل الأجير، ومشروعية العقد، واستحباب الأجر البين الواضح.

سيدنا أيوب * الثري المبتلى:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ لِي بِعَبْدٍ إِيَّاهُ مُسِيءٍ الشَّيْطَانُ بَنُصِبَ وَعَدَابُ * ارْكَضْ بَرْجُلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَوَلِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٤١-٤٣)

يوسف * كسبه من علمه الاقتصادي:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: ٥٥-٥٦)

وهذه الآية تدل على أن الإدارة يسبقها التمكن، إضافة إلى صفات العامل، وخاصة العامل في الإدارة العامة.

سيدنا شعيب * تاجر ينصح التجار:

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بَخِيلٌ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *... قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: ٨٤-٨٨).

تشير الآيات إلى أن نبي الله شعيباً * كان تاجراً بحسب واقعه والبلدة التي أرسل فيها، وكان ملتزماً بأوامر الله، وقد رزقه الله رزقاً حسناً لالتزامه بما يأمر به قومه من العدل في المعاملة.

قال الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: قال شعيب * لقومه: يا قوم أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعني حلالاً طيباً) (الطبري، ٢٠٠٠ م: ٤٥٣/١٥).

والفائدة: أن الإنسان ليس حرّاً مطلقاً يفعل ما يشاء، بل هناك ضوابط مصدرها الاعتقاد.

ثانياً: مصادر دخل بعض الأنبياء لإ في الحديث الشريف

الأنبياء عموماً يعملون في رعاية الغنم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجني الكباش -وهو ثمر الأراك- ويقول: «عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه»، قالوا: أكنت تزعي الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها؟» (البخاري، ١٩٨٧ م، كتاب الأنبياء، باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، رقم: (٣٢٢٥)، ومسلم، دت، كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباش، رقم: (٢٠٥٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرها على قراريط لأهل مكة» (البخاري، ١٩٨٧ م، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم: (٢١٤٣).

هذا مع ملاحظة أن النبي ﷺ كان يرعى لأهله وليس لأهل مكة، فهو ﷺ من عائلة تدرّب أبناءها على العمل، وما كان أعمامه ليتركونه يعمل لحساب غيرهم، إلا إذا كان

مكة مع عمله لأهله، وهذا ما أورده ابن حجر في فتح الباري؛ إذ قال: (قال إبراهيم الحربي: "قراريط" اسم موضع بمكة، ولم يرد القراريط من الفضة، وصوّبه ابن الجوزي تبعاً لابن ناصر، وخطأً سويداً في تفسيره، لكن رجّح الأول لأن أهل مكة لا يعرفون بها مكاناً يقال له قراريط).

وأما ما رواه النسائي من حديث نصر بن حزن قال: افتخر أهل الإبل وأهل الغنم، فقال رسول الله ﷺ: «بُعِثَ موسى وهو راعي غنم، وبُعِثَ داود وهو راعي غنم، وبُعِثْتُ وأنا أرى غنم أهلي بجياد» (النسائي، ١٩٩١م: ١٧١/١٠، والطبائسي، ١٩٩٩م: ٤٤٥/٢).

فزعم بعضهم أن فيه رداً لتأويل سويد بن سعيد؛ لأنه ما كان يرى بالأجرة لأهله، فيتعين أنه أراد المكان، فعبر تارة بجياد وتارة بقراريط.

وليس الردُّ بجيد؛ إذ لا مانع من الجمع بين أن يرى لأهله بغير أجرة ولغيرهم بأجرة، أو المراد بقوله: «أهلي» أهل مكة، فيتحد الخبران، ويكون في أحد الحديثين بيّن الأجرة، وفي الآخر بيّن المكان، فلا ينافي ذلك. والله أعلم) (ابن حجر، ١٩٩٨م: ٤٤١/٤).

آدم ﷺ:

عن أبي بكر ابن أبي موسى الأشعريّ [٢] قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ زَوَّده من ثمار الجنة، وعَلَّمَهُ صُنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، فثَمَارُكَ هذه من ثمار الجنة، غيرَ أَنَّ هذه الجنةَ، غيرَ أَنَّ هذه تَغَيَّرُ وتلك لا تَغَيَّرُ» (الحاكم، ١٩٩٠م: ٥٩٢/٢).

إبراهيم ﷺ: ضيافة النَّاسِ مَفْتَرَضَةٌ عليه:

قال الواقدي: (وكانت الضَّيَافَةُ مَفْتَرَضَةً على لوط كما افْتَرَضَتْ على إبراهيم وإسماعيل ﷺ، فكان قومه لا يضيفون أحداً، وكانوا يأتون الذُّكران من العالمين) (الحاكم، ١٩٩٠م: ٦١٢/٢).

وقد ضرب الله تعالى بإبراهيم ﷺ المثل العظيم في إكرام الضيف، قال الله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَليمٍ} (الذاريات: ٢٤-٢٨).

نوح ﷺ: سفينته ثمرة من ثمار رَزْعِهِ:

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «كَانَ نُوحٌ ﷺ مَكاناً في قومه أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً يَدْعُوهُمْ إلى الله، حَتَّى كَانَ آخِرُ زَمَانِهِ غَرَسَ شَجَرَةً فَعَظَّمَتْ وَذَهَبَتْ كُلُّ مَذْهَبٍ، ثُمَّ قَطَعَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَعمَلُ سَفِينَةً فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: يَعمَلُ سَفِينَةً فِي الْبَرِّ فَكَيْفَ تَجْرِي؟ فيقول: سوف تَعلَمُونَ....» (الحاكم، ١٩٩٠م: ٥٩٦/٢، وقال الهيثمي ١٩٩٤م: ٣٦٧/٨: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن يعقوب الزمعي، وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله ثقات).

إسماعيل بن إبراهيم ﷺ:

عن كعب ﷻ قال: كان إسماعيل بن إبراهيم نبي الله الذي سمّاه الله: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ... وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (سورة مريم: ٥٤-٥٥)، قال: وكانت زكاته القربان إلى الله من أموالهم (والضمير هنا عائذ على آخر الأسماء قبله (أهله)، كانت القربانين من أموال أسرة إبراهيم وإسماعيل ﷺ)، وكان لا يُعَدُّ أحداً شيئاً إِلَّا أَنْجَزَهُ، فسَمَّاهُ الله: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (... (الحاكم، ١٩٩٠م: ٤٤٧/٣، وضعفه الذهبي).

لوط ﷺ:

عن أبي هريرة [٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «... رَحْمَةُ اللَّهِ على لوطٍ، إِنَّ كَانَ لِبِأَوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ...، فما بعث الله بعده نبياً إِلَّا في ثَرَوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ» (الترمذي، د.ت، كتاب تفسير القرآن، باب سورة يوسف، رقم: ٣١١٦)، وقال محمد بن عمرو -أحد الرواة-: الثروة الكثرة والمنعة، وقال أبو عيسى: حديث حسن. وأصله في البخاري، ومسلم بلفظ: «... يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ». (البخاري، ١٩٨٧م، كتاب التفسير، باب سورة يوسف، رقم: ٤٤١٧)، ومسلم، د.ت، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم: (١٥١)، والحاكم، ١٩٩٠م: ٦١١/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة، إنما اتفقا على حديث الزهري عن سعيد وأبي عبيد عن أبي هريرة مختصراً، وسكت عنه الذهبي في التلخيص).

قوله: (في ثروة من قومه) بفتح المثلثة وسكون الراء: في عدد كثير من قومه، وقوله: (الثروة الكثرة والمنعة) يقال فلان في عرٍّ ومنعة بفتحين، وقد تسكن النون، وقيل: المنعة جمع مانع، مثل: كافر وكفرة، أي: هو في عرٍّ ومن يمنعه من عشيرته (وهذا حديث حسن) وأصله في الصحيحين. (المباركفوري، د.ت (١٤٩/١٢).

وقال ابن الأثير (١٩٧٩م: ١٩١/١): (الثروة: العدد الكثير، وإنما خصّ لوطاً ﴿ لقوله تعالى: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} (سورة هود: ٨٠)، يقال: ثرى القوم يثرون وأثروا: إذا كثروا وكثرت أموالهم).

وعن ابن جريج: {أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} (سورة هود: ٨٠) قال: (بلغنا أنه لم يُبعث نبي قط بعد لوط ﴿ إلا في ثروة من قومه). (الحاكم، ١٩٩٠م: ٦١٢/٢).

ضيافة النَّاسِ مفترضةٌ عليه: (وكانت الضَّيافة مفترضةً على لوط كما افترضت على إبراهيم وإسماعيل، فكان قومه لا يضيفون أحداً، وكانوا يأتون الدُّكران من العالمين) (الحاكم، ١٩٩٠م: ٦١٢/٢).

زكريّا ﴿

عن أبي هريرة ﴿ أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريّا نجاراً» (مسلم، د.ت، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريّا ﴿، رقم: (٢٣٧٩).

جدول (١): القواعد المستفادة ممّا ذكرناه من أخبارِ كَسْبِ الأنبياء لِـ

م	القاعدة المستفادة	الدليل
١	لا يعيش الأنبياء لِـ على موائد النَّاسِ	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾
٢	يُطْعِمُ اللهُ النَّاسَ على يَدِ الأنبياء لِـ	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّاهُ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ (سورة البقرة: ٦١)
٣	الأنبياء لِـ مأمورون بالتَّعَمُّمِ في الدُّنْيَا	﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ (سورة المائدة: ١١٣) ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٥٥)
٤	الأنبياء لِـ يعيشون في نعمة تامّة غير منقوصة	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١)
٥	حتى الملوك تعجب من تمام نعيم بعض الأنبياء لِـ وقصورهم	﴿وَبُيُتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ (سورة يوسف: ٦)، ﴿وَبُيُتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة الفتح: ٢)
٦	الأنبياء لِـ أسوة التَّجَارِ في الرِّيحِ الحلال	﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (سورة النمل: ٤٤) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (سورة هود: ٨٨)
٧	الأنبياء لِـ أسوة الصُّنَّاعِ في الرِّيحِ الحلال	﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُشْقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة القصص: ٢٣)
٨	الأنبياء لِـ لا يلتفتون إلى أموال النَّاسِ	﴿فَلَا عُذْوَانِ عَلَىٰ وَاللَّهِ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (سورة القصص: ٢٨) ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (سورة النمل: ٣٦)
٩	السَّعة والغنى وعدُّ الله لأنبيائه وأتباعهم	﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ١٧) ﴿وَأَتَانَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا* وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ (سورة الفتح: ١٨-١٩)

م	القاعدة المستفادة	الدليل
		﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (سورة النحل: ٩٧)
١٠	الفقر وعدُّ الشَّيْطَانِ وحال عبَاد الأوثان	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٨) ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ (سورة العنكبوت: ١٦)

المطلب الثالث: مصادر كسب النَّبِيِّ ﷺ

إذا ما تتبَّعنا الأحاديث والنُّقُولَات الواردة في كتب التَّارِيخ عَلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان له عدد الواردات المَالِيَّة، فقد كان يعمل لكسبِ قوتِ يومه، وفي ذلك درسٌ إلهي عظيمٌ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يدعو النَّاسَ إلى العمل والتَّكسُّب؛ فالله تعالى قادر على إغناء نبيِّه من دون عمل، وقادر على أن يرزقه كما رزقَ مريم بنت عمران في محرابها، ولكنَّه درسٌ للأُمَّة في أهمِّية التَّكسُّب من عمل اليد والسَّعي لكسب الرِّزق.

وقد منَّ النَّبِيُّ ﷺ على صحابته الكرام بأنَّهم اغتنوا به، فقال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» (البخاري، ١٩٨٧م، كتاب المغازي، باب غزوة الطَّائِف، رقم: ٤٣٣٠)، ومسلم، د.ت، كتاب الزَّكَاة، باب إعطاء المؤلِّفة قلوبهم على الإسلام، رقم: (١٠٦١)، أي: كنتم فقراء فأغناكم الله بِي، وهذا سببه حسنُ الأداء والتَّصرف الرَّشيد، إضافةً إلى كونه رسول الله ﷺ وخير خلقه.

وكما أغنى الله به ﷺ عامَّة النَّاس أغنى به أهله خاصَّة؛ قال ابن بطَّال في شرحه على حديث: (أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ٧ تَمَرَةً مِنْ تَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ كَيْفَ»، لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعُرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!») (البخاري، ١٩٨٧م، كتاب الزَّكَاة، باب ما يذكر في الصَّدقة للنبي ﷺ، رقم: (١٤٢٠)، ومسلم، د.ت، كتاب الزَّكَاة، باب تحريم الزَّكَاة على رسول الله ﷺ وعلى آلِه، رقم: (١٠٦٩): (وذكر الطَّحاوي أَنَّ عِلَّةَ أَبِي حَنِيْفَةَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَا جَعَلَ لَهُمْ فِي الْخَمْسِ مِنْ سَهْمِ ذَوِي الْقَرْبَى، فَلَمَّا انْقَطَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى غَيْرِهِمْ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَلَّ بِذَلِكَ لَهُمْ مَا كَانَ حَرْمًا عَلَيْهِمْ) (ابن بطَّال، ٢٠٠٣م: ٨٦/٦).

وكان من تشريعه ﷺ إغناء الفقير، وفرض له حقًّا معلومًا محدَّدًا من مال الغني، فقال ﷺ: «صَدَقَةٌ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ» (البخاري، ١٩٨٧م، كتاب الزَّكَاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم: (١٤٢٥)، ومسلم، د.ت، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: (١٩)، وفي هذا السُّلوك دعمٌ تحفيز للإنفاق، فالطبقة الفقيرة يميل سلوكها إلى إنفاق كلِّ ما يأتياها، ممَّا يحفِّز الدَّوْرَةَ الاقْتِصَادِيَّةَ الكَلِّيَّةَ، فيعود النِّفْع على الأغنياء والفقراء عموماً؛ لأنَّ الأغنياء هم من يديرون دَقَّةَ الاقْتِصَادِ عَادَةً.

لذلك جعل ﷺ من المجتمع قوَّةً متكافلة متساندة في مكافحة الفقر ومعونة الفقراء، فقال: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ» (الطبراني، ١٩٨٣م: ٢٥٩/١، وقال الهيثمي ١٩٩٤م: ٣٠٥/٨، رواه الطبراني، والبخاري، وإسناد البزار حسن).

وهذا السُّلوك يحقِّق الأمان الاجتماعيَّ من خلال تلبية الحاجات الأساسيَّة للجميع، إضافةً إلى الحبِّ والإلفة بين النَّاس.

ولم يقتصر الإسلام على محاربة فقر المسلمين خاصَّة دون غيرهم، بل جعل ذلك حقًّا لكلِّ أبناء المجتمع، كما جاء في تفسير القرطبي أَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ أُنِيَ بِصَدَقَاتٍ فَجَاءَهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: أَعْطِنِي، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَدَقَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ!!»، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٢)، فدعاه رسول الله ﷺ، ثُمَّ أَعْطَاهُ. (القرطبي، د.ت: ٣٣٧/٣).

وهذا معطوف على ما سبق بيانه من فضل تحفيز الإنفاق وإنعاش الدَّوْرَةَ الاقْتِصَادِيَّةَ، إضافةً إلى تحقيق الأمن الاجتماعي دون النَّظَر لمعتقد المرء، بل بوصفه إنساناً مكرِّماً من الله تعالى.

جدول (٢): مختصر المراحل الاقتصادية الثلاث في حياة النبي ﷺ

الاصطفاء بالنبوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٣٣).	يظهر اصطفاؤه ﷺ من خلال أمرين اثنين: قبيلته، وبلده.
المراحل الاقتصادية الثلاث في حياة النبي ﷺ: (الضحى: ٦).	ما اكتسبه رسول الله ﷺ بنفسه في هذه المرحلة: رَعِيَهُ ﷺ للغنم، عَمَلَهُ ﷺ في التجارة.
الإغناء: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (سورة الضحى: ٨).	تبدأ هذه المرحلة مع بدء الوحي وكثرة عيال النبي ﷺ من أبنائه ومن يعولهم في بيته.

جدول (٣): مختصر كسب النبي ﷺ (مصادر أمواله)

نكسبه ﷺ من مزاولة التجارة.	
ميراثه ﷺ من والديه.	
ميراثه ﷺ من خديجة رضي الله عنها.	
الأنفال والغنائم.	
أموال بني النضير بالمدينة المنورة.	
أموال خيبر وفدك وقرى حول المدينة المنورة.	القيء:
المال الذي أتى إليه ﷺ من مال البحرين.	
صفىه ﷺ قبل الغنائم، ومنه بعض نسائه.	الصفى:
أموال مُحَرِّيق اليهودي بالمدينة المنورة.	
بعض أرض الأنصار.	الهدايا من الملوك والصحابة وغيرهم:
ما كان يُهدى له ﷺ من الملوك وغيرهم.	
سهمه ﷺ مجاهدًا.	
خصائصه ﷺ في الرزق.	
جبال الذهب.	
نصيب العاملين على الزكاة.	
عُرِضَتْ عليه مفاتيح خزائن الدنيا والخلود في الدنيا.	
عرض قريش أول الإسلام.	
لو شاء ﷺ لجعل دعوته لدنياه، فكان له بها ما يقارب ملك سليمان ﷻ	مصادر لم يستخدمها ﷺ:
رفضه أخذ الخمس من مال غُدِر.	
داره ﷺ مِنْ مَلِكٍ تُبِعَ.	

النتائج

يظهر مما سبق أن الله عز وجل لم يرسل رسلاً عالمة على أقوامهم يتكسبون بدعوتهم من الخلق؛ لذلك أمر أنبياءه جميعاً بالعمل، وأثبت البحث مصادر كسب الأنبياء لإ.

جعل الله عز وجل الأنبياء سبب رزق لأقوامهم وليس العكس -وهكذا يجب أن يكون الدعاة-، فنوح ﷺ قَدَّمَ السَّفِينَةَ وحمل الدرّة، وإبراهيم ﷺ كان سبباً في رزق أهل البيت الحرام ليومنا هذا، وكانت الضيافة مفترضة عليه، وموسى ﷺ جعل قومه يأكلون من خيرات الأرض، وعيسى ﷺ أولم لهم بمائدته، والنبي ﷺ كثيراً ما أطعم وسقى، وأهدى وأقطع، ناهيك عن تعليم السعي لأمتة، ومن الله عز وجل على نبيه بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] وليس فأفقر!

من تمام صفات الأنبياء لإِ عدم احتياجهم لأقوامهم، وهذا ما يجب إضافته لمبحث النبؤات وصفات الأنبياء لإِ.
الرّسول على قدر المرسل، فكما يحزم القول بأنّ الله فقيرٌ، ينطبق ذلك على رُسُلِهِ جميعاً لإِ.

التوصيات

إنّ غياب حقيقة الكفاية المالية في سير الأنبياء لإِ عموماً، والنبيّ ﷺ خصوصاً أدّى إلى:

١. نصفُ الأُمّة الإسلاميّة من الفقراء.
٢. ظهور فكر كالذي عند بعض غلاة الصّوفية وأشباههم الذين أَماتوا عزيمّة الأُمّة بالرّهد المصطنع.
٣. إخفاق الخطاب الدّيني في نهضة الأُمّة؛ إذ قام على كراهية الدّنيا.
٤. تصوير الأنبياء لإِ عموماً، والنبيّ ﷺ خصوصاً بصورة المتواكل الذي ينتظر العون.
٥. ولهذا فقد أثبت البحث ما يأتي:
٦. أمر الله الأنبياء لإِ بالدعوة، وضمن لهم الجانب المالي، ولكن ما تعلّمناه خلاف ذلك.
٧. لا فقر في الإسلام! ولا يرسل الله الغني الرّازق نبياً أو رسولاً عالّة على أتباعه.
٨. إنّ من يتكسّبون من هذا الدّين يصعب أن يخدموه.
٩. هذا يعني لزوم إعادة النظر في قناعاتنا وموروثاتنا العقديّة المتعلقة بمالية الأنبياء، والتي لا تقوم على أصل ثابت ودليل واضح.

شكر

الحمد لله على تسخيري لما وفّقني، سائلاً إيّاه القبول وبسمّة سيّدنا رسول الله ﷺ حين ألّقه، شاكرًا مجلة العلوم التطبيقية المكرّمة، التي أتاح لي وإخوتي من طلاب العلم هذه المنصة الطيبة لتقديم الأبحاث العلمية، وسّرت لذلك من الإمكانيات والجهود ما تشكر عليه. كما اتوجه بالشكر الجزيل للسادة المحكمين الأفاضل، على ما بذلوه من الوقت والجهد والنصح لهذا البحث، سائلاً المولى عز وجل السداد والرشاد، وأن يتقبلنا بقبوله الحسن، وأن يستخدمنا صالحين.

بيان تضارب المصالح

يقر جميع المؤلفين أنه ليس لديهم أي تضارب في المصالح.

المراجع

القرآن الكريم

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (ب.د.ت). أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب ﷺ.
- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. (ب.د.ت). تحفة الأحوذ في شرح جامع الترمذي. مراجعة وتصحيح عبد الوهّاب عبد اللطيف، دار الفكر.
- الشعراوي، محمد متولي. (ب.د.ت). تفسير الشعراوي. المكتبة الشاملة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٤٠١هـ). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي. (١٤١٩هـ). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل). ط ١، تحقيق يوسف علي بديوي، مراجعة محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار الكلم الطيب.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (ب.د.ت). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الشعب.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي. (ب.د.ت). الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (١٤١١هـ). السنن الكبرى. ط ١، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. (١٤٢٣هـ). شرح ابن بطلال على صحيح البخاري. ط ٢، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله الجعفي. (١٤٠٧هـ). صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه). ط ٣، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ب.د.ت). صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ط ١، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني. (١٤١٨هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. ط ١، تحقيق الشيخ عبد العزيز ابن باز والدكتور فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار السلام؛ دمشق: دار الفحاء.
- الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر. (١٩٩٤). مَجْمَعُ الرِّوَايَاتِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ. حققه عبد الله محمد الدرويش، بيروت: دار الفكر.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. (١٤١١هـ). المستدرک علی الصحيحین. ط ١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (١٤١٩ هـ). مسند الطيالسي، ط ١، حققه محمد بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. (١٤٠٤هـ). المعجم الكبير. ط ٢، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل: مكتبة العلوم والحكم.
- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد. (١٣٩٩هـ). النّهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.